قصيدة أخرى مطلعها :

شرى البرية قاصيها ودانيها حاط الخلافةَ بالدستور حاميها

:

هب عثمان من ترك ومن عرب حياك من يبعث الموتى ويحييها .
ت للحق حين النفس جازعةٌ والله بالصبر عند الحق موصيها .
ى الذى لم ينله بالقنا أحد فاهتف (لأنورها) واحمد (نيازيها)
ين آمالك اللائى ظفرتَ بها وبين (مصر) معانٍ أنت تدريها

* * *

ل هذا يدل على عظم الفرحة التى شعرت بها النفوس فى كل أقطار الشرق ، هذه الحركة الدستورية التى تهدف إلى الإصلاح بالنجاح . ولبث الجميع ما تسفر عنه الحركة من خير النتائج وأعودها بالنفع على الأمة ومستقبلها وما ستحققه من أعمال عظام . ولكن هل برر المستقبل ما شعر به الناس من هذه اللحظة ؟ وإلى أى حد حققت الثورة الآمال ؟ وما ذا كان أثرها الحقيقى الأمة ؟ وما هو الحكم الذى سجله التاريخ عليها ؟ « يتبع »

القوة داعية الإنصاف

ولستُ أبالى بعد طول تجاربى أمعتكرٌ جوُّ السياسة أم صافِ
إذا السيفُ لم يُنصفك ممن تخافه فلستَ على حالٍ بآمل إنصاف

« خير الدين الزركلى »

المكتبة العدد ١ السنة ٢
بيع أول ١٩٥٢ - نوفمبر ١٩٥٢

قصة تمثيلية :

مولد النور

الأستاذ على أحمد باكثير

(١)

[فى بيت آمنة بنت وهب . آمنة وجاريتها بركة (أم يمن)]

بركة : كلا يا مولاتى . . . لن أدعك تباشرين اليوم أى عمل .
آمنة : ويحك يا بركة دعينى أساعدك قليلا فى عملك فإنى بخير .
بركة : كلا كلا لا حاجة بى إلى مساعدتك . عليك أن تستريحى فهذا آخر شهرك التاسع .
آمنة : لكنى لا أجد أى ثقل ولا ألم ، بل إنى لأجدنى اليوم أنشط منى فى أى يوم مضى .
بركة : أما إن أمرك يامولاتى لعجيب . أما زلت تسمعين صوت ذلك الهاتف ؟
آمنة : كل ليلة يا بركة .
بركة : ماذا سمعته البارحة يقول ؟
آمنة : سمعته يقول : يا آمنة بنت وهب إنك حملت سيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد .
بركة : ألا أدعو لك قُتيلة بنت نوفل لعلها تستطيع أن تفسر لك هذا الأمر بما عندها من علم أخيها ورقة بن نوفل ؟
آمنة : كلا . . ما بى إلى علمها ولا إلى علم أخيها حاجة .
بركة : إنها يا مولاتى حفية فى السؤال عنك ، لا ترانى ألا سألتنى عنك وعن حملك فماذا يضيرك لودعوتها إليك ؟

: ألم تعلمى يابركة أنها صاحبة عبد الله، وأنها تنفس هذا الحمل علىّ وترى أنى سلبتها إياه . أنسيت قولها عنى :

لله ما زهـــرية سلبت ثوبىَّ ماسلبت ولا تدرى ؟

: لكنها تحبك اليوم ولا تنفس عليك . إن سؤالها عنك لسؤال المحبة المخلصة .

: [تنهد] ايَّا ما يكن حالها فقد انقضى الذى بيننا منذ ذهب عبد الله إلى غير معاد !

: واحسرتاه على مولاى عبد الله ! ويحه ما كان يخلص من محنة التضحية حتى غوضر فى شبابه قبل أن يهنأ بشىء .

: ياليته عاش حتى يرى وليده هذا ولو سحابة يوم ! آه يا بركة لولا هذا الصوت الذى يبشرنى دائما ويعزينى ، ولولا أنى حريصة على أن يبقى لعبد الله عقب منى لكنت هلكت حزنا عليه .

: أجل يا مولاتى إن مصابك به لفوق كل مصاب .

: ولكن نساء قريش يلمننى على مايرين من تجلدى وتصبرى، ويعددن ذلك سلوانا منى عن ذلك الذى يقلن عنه إنه أجل هاشمى درج على أرض البطحاء ، وإن أية واحدة منهن لو فجعت به ما عاشت بعده يوما . الله لهن ! إنهن لا يعلمن ما فى قلبى ولا يدرين أمر هذه الهواتف التى درجت تبشرنى فى كل ليلة . ولو أنى قلت لهن شيئاً من ذلك لرمينى بالمس أو بالاختلاق .

: [فى اهتمام مفاجىء] مولاتى مولاتى . . هذه قتيلة مقبلة !

: قُتيلة !

: نعم .

: مرحبا بها . . أكرمى مقدمها يا بركة .

: [تدخل] عمى صباحا يا آمنة !

: مرحباً بك ياقتيلة . لطالما بلَّغتنى بركة جميل سؤالك عنى . لا عدمتك !

: رعاك الله يابنت وهب . ماوسعنى اليوم إلا أن أجىء بنفسى لأراك وأرى غلامك السعيد الميمون

آمنة : ويحك يا بنت نوفل إنه ما زال فى غيب الله .

قتيلة : ستضعينه اليوم يا آمنة . لقد حدثنى أخى ورقة أنه رأى البارحة ذلك النجم الأحمر الذى يظهر ليلة مولد ذلك النبى المنتظر وقد بعثنى لأستطلع .

آمنة : أو قد حدثك بذلك ؟

قتيلة : إى والله وقد ظننت أننى سأجدك قد ولدته .

بركة : لكن مولاتى لا تشكو اليوم شيئاً ولا ندرى متى يأتيها الطلق .

قتيلة : إن يكن هو الذى حملت به حقاً فسيأتيها الطلق اليوم لا محالة ، وإلا كان ذلك فى بيت آخر .

بركة : كلا لن يكون ذلك فى بيت آخر أبداً . إن مولاتى لتسمع الهواتف كل ليلة تبشرها بذلك .

آمنة : مه يا بركة !

قتيلة : الهواتف ؟ فيم يا آمنة تكتمين ذلك عنى ؟ أو تظنين يا أختاه أننى ما زلت أجد عليك لأنك سلبتنى هذا الشرف ؟ كلا ورب الكعبة لقد اختارك الله وقضى الأمر . وإنك لأولى بذلك منى فأنت زوج عبدالله وهو بعلك ، وما كنت إلا غريبة دعته إلى استبضاعها لتفوز دونك بالحظ الذى كتبه الله لك . فخبرينى يابنت وهب ماذا تقول لك الهواتف ؟

آمنة : إنه هاتف واحد بذاته ياقتيلة ، وقد قال لى أموراً كثيرة وعيت بعضها وعزب عنى بعض .

بركة : حدثيها يامولاتى بما قال لك البارحة .

قتيلة : أجل ماذا قال لك البارحة يا آمنة ؟

آمنة : قال لى : يا آمنة بنت وهب إنك حملت سيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد .

قتيلة : فابشرى يا آمنة أنه هو لا ريب ... هو النبى المنتظر . قد علمت أن عينى لم تكذبنى ذلك اليوم إذ رأيت تلك الغرة المتوقدة كالكوكب الدرى على جبين عبد الله فلما عاد إلىّ من عندك التمستها فلم أجدها إذ انتقلت

إلى أحشائك يا آمنة . إنه هذا الجنين الذى فى بطنك وإنه سيخرج اليوم لا محالة .

آمنة : [تتأوه تأوها خفيفا] آه !

بركة : ما خطبك يا مولاتى ؟ أتشكين شيئاً ؟

آمنة : لا شىء يا بركة إلا وجعا يسيرا آنسته يدب فى ظهرى .

قتيلة : هلم القابلة يا بركة فإنى لا أحسن هذا الشأن ، ياليتنى أحسنه !

بركة : ولا أنا يا أختاه .

قتيلة : انطلق حالا . . . انطلق إلى الشفاء فإنها أكرم قابلة فى مكة . أتعرفين دارها ؟

بركة : نعم أعرف دارها . . على أن تبقى أنت عند مولاتى ريثما أعود ؟

قتيلة : ويلك لن أريم مكانى هذا حتى أشهد الغلام الميمون .

[تخرج بركة منطلقة]

آمنة : قتيلة !

قتيلة : نعم يا آمنة .

آمنة : جزيت عنى خيرا . . . لقد والله آنستنى وسرّيت عنى .

قتيلة : بوركت يا بنت وهب . لئن فاتنى أن أكون أمًّا ما فاتنى أن أكون أول عين تراه !

(٢)

[فى الحجر عند الكعبة . يُرى عبد المطلب جالسا وحده]

[يدخل المغيرة المخزومى ووائل السهمى]

المغيرة : ذاك عبد المطلب جالساً وحده . . هلم يا وائل نجلس إليه .

وائل : ماذا نصنع عنده يا مغيرة ؟ إنه لم يزل محزونا على ابنه عبد الله كأن لم يمت لأحد قبله ولد !

المغيرة : صدقت دعنا ننتح بعيداً عنه لنتحدث فى شؤوننا . انظر : ذاك ابنه أبو طالب قد أقبل إليه !

وائل : دعه يواسى أباه الشيخ ! [يبتعدان] .

أبو طالب : عم صباحا يا أبى . . أنت هنا وحدك ؟

عبد المطلب : أجل يا بنى .

أبو طالب : وتدمع عيناك ؟

عبد المطلب : ويلك هل يرانى أحد من قريش ؟

أبو طالب : لا يا أبت إنهم يمعزل عنك . وهبهم رأوك فما شأنهم بك ؟

عبد المطلب : كلا يا بنى لا أحب أن يروا جزعى فطالما لاموني فى عبد الله . إنهم يا عبد العزى لقساة القلوب .

أبو طالب : وإنك فى الحق للوم بعض اللوم .

عبد المطلب : ويلك يا عبد العزى لا أريتك قاسياً مثلهم .

أبو طالب : كلا ما بى من قسوة ، بيد أن عبد الله أخى قد مضى ولن يعود وقد حال الحول على وفاته أو كاد فإلام الحزن والبكاء عليه ؟

عبد المطلب : ويحك يا بنى إن حزنى عليه ليتجدد فى قلبى كل يوم .

أبو طالب : لئن ذهب عبد الله لقد بقى سائر ولدك وكلهم ساعد لك وعضد ولن يقوم لك عبد الله بشىء لا نقوم به نحن لك .

عبد المطلب : آه يا عبد العزى والله ما معونة عبد الله بالذى افتقدت ، وإلّا لكان لى فيكم عنه العوض . فما كان عبد الله بأقوى منكم ولا أنهض بالجلّى . ولكن لعبد الله عندى شأنا ليس من شؤون هذا العيش الذى نغدو فيه ونروح .

أبو طالب : ماذا تعنى يا أبى ؟

عبد المطلب : ماذا أشرح لك يا عبد العزى من أمور شهدتها أنت بعينك وكنت جديراً أن تفقهها بنفسك ؟ ألم تر كيف فُدى عبد الله بالإبل المائة ؟

أبو طالب : بلى .

عبد المطلب : ألم تر كيف تزوج آمنة بنت وهب ولم يقض معها إلا قليلا ؟

أبو طالب : بلى

عبد المطلب : وكيف سافر السفرة التى سافرها فلم يعد منها ؟

أبو طالب : بلى

عبد المطلب : فلأمر ما فدى عبد الله ليعيش ، ثم لأمر ما سافر بعد زواجه وشيكا ليموت!
دع عنك تلك الآية التى شهدناها منذ شهرين كيف رد الله عنا صاحب الفيل فأهلكه وجيشه بتلك الطير الأبابيل !

أبو طالب : صدقت يا أبت إن لهذا كله لشأنا وإنه لحرى أن يعزيك عن كل هالك . وعسى أن تجىء آمنة بغلام يكون أحب إليك وأفضل لك من أبيه .

عبد المطلب : أى والله إن جاءت بغلام فلأسمينه محمداً . . محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب !

أبو طالب : انظر ! هذه بركة يا أبى . . جارية آمنة !

عبد المطلب : بركة ! هلمى يا بركة ! ماذا وراءك ؟

بركة : أبشر يا سيدى . مولاتى آمنة جاءتك بغلام !

عبد المطلب : [هاتفاً] اللهم لك الحمد يارب الحمد !

(٣)

[فى بيت آمنة]

أم العاص : أرينى يا شفاء أنظر إليه !

الشفاء : قد رأيته يا أم العاص فحسبك !

أم العاص : أشتهى أن أتملى برؤيته . يا له من غلام جميل لم تر عينى مثله قط !

قتيلة : [تتمتم] هذا هو ! هذا هو !

أم العاص : عجباً لقد خرج نظيفاً كما يخرج السخل ما به من قذر !

قتيلة : هذا هو . . هذا هو !

الشفاء : تنحى عنه قليلا يا أم العاص

أم العاص : انظرى . . إنه مكحول ثم انظرى . . إنه مختون !

قتيلة : هذا هو . . هذا هو !

أم العاص : عجباً . . إنه شاخص ببصره إلى السماء .

قتيلة : هذا هو !

أم العاص : هو ماذا يا قتيلة ؟

قتيلة : النبى المنتظر

المرأتان : النبى المنتظر ؟

قتيلة : نعم ألم تريا ذلك النور الذى خرج معه ؟

الشفاء : بلى لقد كاد يخطف بصرى

أم العاص : وأنا نظرت إلى السماء ساعتئذ فرأيته قد أضاء ما بين المشرق والمغرب

الشفاء : آمنة ! ما بالك صامتة يا آمنة ؟ ألم تسمعى ما تقول قتيلة ؟

آمنة : بلى قد سمعت

الشفاء : فما خطبك ؟ هل من وجع ؟

آمنة : كلا لا وجع البتة . . أين بركة ؟

الشفاء : انطلقت لتبشر أباه

آمنة : [فى شىء من الأسى] أباه ؟

الشفاء : أجل . . أباه عبد المطلب

آمنة : حقاً إن عبد المطلب لأبوه ونعم الأب الكريم

أم العاص : هاهو ذا قد أقبل !

عبد المطلب : [يدخل] كيف أنت يا آمنة ؟

آمنة : بخير يا عماه

عبد المطلب : [فى فرح] ابنى ! هذا ابنى ! يا بشراى بمحمد !

آمنة : محمـــد ؟

عبد المطلب : أجل قد سميته محمداً يا آمنة

آمنة : لـكنى أمرت بأن أسميه أحمد

عبد المطلب : الهاتف أمرك بذلك ؟

آمنة : نعم

عبد المطلب : فهو أحمد وهو محمد: أحمد عند الله ومحمد فى الناس. هل لى أن أحمله ياشفاء؟

الشفاء : افعل يا أبا الحارث على أن ترفق به

عبد المطلب : [يحمله] انظرى يا آمنة . . إنه يحبنى ويتعلق بى ! والله لأحملنه الساعة إلى الكعبة فلأدعون له الله أن يجعله مباركا

الشفاء : أرفق به يا عبد المطلب

عبد المطلب : ويحك ياشفاء إنه ابنى وحبيبى وإنه لصاحب الشأن ، لن تراعى يا آمنة .. سأعود به وشيكا [يخرج]

قتيلة : عجبا . . إن عبد المطلب ليعلم أمره . لأنطلقن الساعة إلى ورقة أخى فليفرحن بالبشارة

(٤)

[فى الحجر عند الكعبة]

[ورقة بن نوفل يسعى خلف عبد المطلب]

ورقة : مهلا يا أبا الحارث يا عبد المطلب !

عبد المطلب : من ؟ [يلتفت] ورقة بن نوفل . . هلم هنئنى يا ورقة !

ورقة : [يدنو منه] أهنئك وحدك ؟ إنى أهنىء جميع أهل الأرض !

عبد المطلب : بأى شىء ياورقة ؟

ورقة : بهذا الغلام الذى تحمله .

عبد المطلب : إنه ابنى يا ورقة . . ابن عبد الله . . ابن آمنة بنت وهب

ورقة : أجل . . أرنى يا أبا الحارث أنظر إليه

عبد المطلب : انظر . . ما أجمله ! ما أروعه ! ما أودعه !

ورقة : أجل إنه هو . . . والله ليكونن لابنك هذا شأن . إلى أين تمضى به يا أبا الحارث ؟

عبد المطلب : إلى جوف الكعبة . . اسبقنا يا عبد العزى فافتح لنا باب الكعبة .

أبو طالب : حباً يا أبت وكرامة . [ينطلق نحو باب الكعبة] .

ورقة : كلا يا أبا الحارث لا تفعل .

عبد المطلب : ويلك يا ابن نوفل أتربأ بالكعبة عن ابنى ؟

ورقة : كلا يا عبد المطلب بل أربأ بابنك هذا عما فى جوفها من الأوثان .

عبد المطلب : دعنى من هذا أيها الصابئ عن دين آبائك . والله لأدخلنّ به الكعبة فلأدعون الله له فى جوفها .

ورقة : ادع الله له هنا فى ظاهرها يا أبا الحارث .

عبد المطلب : والله لا أدعو له إلا فى جوفها ! مابالك ارتددت ياعبدالعزى ؟ ماخطبك ؟

أبو طالب : أمر مهول يا أبت .

عبد المطلب : ماذا حدث ؟

أبو طالب : الأرباب يا أبت . الأرباب .

عبد المطلب : ما بالها ؟

أبو طالب : جاثية على وجوهها جميعاً فى الأرض !

عبد المطلب : حتى هبل ؟

أبو طالب : حتى هبل !

عبد المطلب : وى ما سمعت كاليوم عجباً !

ورقة : لا تعجب يا عبد المطلب . فهذا الذى تحمله هو عدوها جميعاً .

عبد المطلب : دعنى من أساطيرك يا ابن نوفل . [لأبى طالب] اعدلها يا بنى أو اعدل هبل وحده قبل أن ندخل .

أبو طالب : سأفعل يا أبى .

ورقة : يابن هاشم اسمع نصحى.. لاينبغى لك أن تدخل بهذا الغلام إلى حيث الأوثان.

عبد المطلب : مهلا يا ورقة دعنى وشأنى .

أبو طالب : [يظهر على باب الكعبة] قد عدلته يا أبت . . عدلت هبل وحده .

عبد المطلب : أحسنت [يدنو من الباب] باسمك اللهم [يدخل جوف الكعبة] .

[يسمع صياح الغلام]

أبو طالب : [على الباب] إنه يا أبت يضطرب ويصيح !

عبد المطلب : [يسمع صوته] عجباً قد كان هادئاً وديعاً فما الذى أبكاه هنا ؟

أبو طالب : لعل الآلهة لا تريده فهى تعتريه بسوء !

عبد المطلب : [صوته] لا تكن يا بنى كورقة . . إن الآلهة لا تريد غيره . . هو البركة وهو الآية وهو صاحب الشأن .

أبو طالب : فاخرج به من هنا فإن كف عن بكائه علمنا أن الآلهة هى السبب .

عبد المطلب : [صوته] صدقت . [يظهر خارجاً من جوف الكعبة] عجباً لقد كف عن البكاء !

أبو طالب : انظر يا أبت . . إنه يضحك والدمع فى عينيه !

ورقة : ألم أقل لك يا أبا الحارث ؟

عبد المطلب : ويلك أتظن أن الآلهة كانت تؤذيه ؟

ورقة : كلا إنها لا تقدر أن تؤذى أحداً ولا جناح بعوضة ، ولكنه هو الذى يكرهها ولا يطيق الوجود بينها ، ووالله يا عبد المطلب ، ورب هذه البنية ليبلغن أشده فليحطمن هذه الأصنام يوماً وليطهرن من رجسها الكعبة .

عبد المطلب : لكنى أريد أن أدعو له الله فى جوفها .

ورقة : نعِّ هذه الأوثان إذاً قبل ذلك .

عبد المطلب : ويلك ما ذا تقول إذاً قريش عنى ؟ صبأ عبد المطلب كما صبأ ورقة بن نوفل؟

ورقة : إذن فادع له الله هنا خارجها إذا شئت .

عبد المطلب : أجل . . سأفعل . [فى حنان وابتهال] .

الحمد لله الذى أعطانى هذا الغلام الطيب الأردان
أعيذه بالبيت ذى الأركان من شر كل حاسد وشانى

أبو طالب : انظر يا أبى إلى الغلام . إنه يبتسم متهللا كأنه البدر ! إنه يبتهل كأنما يدعو معك !

عبد المطلب : أجل ما أجمله وما أروعه ! بأبى أنت وأمى يا بنىّ الحبيب !

ورقة : قد آن لكما أن تعيداه إلى حجر أمه .

عبد المطلب : أجل . . لعلها مشفقة عليه ، ولعله يريد أن يرضع . هيّا يا عبد العزى لتسلّم معى على آمنة .

أبو طالب : اسبقنى يا أبت وأنا آت على الأثر .

عبد المطلب : فيم يا بنى ؟

أبو طالب : ينبغى أن أنصب هذه الآلهة أولاً وأقيمها فى أماكنها ألّا يراها أحد هكذا فيظن بنا الظنون .

عبد المطلب : أصبت يا بنى . اسمع يا عبد العزى وأنت يا ابن نوفل إياكما أن تحدثا قريشاً بما وقع لهبل والآلهة الأخرى فلن تصدق قريش ذلك إلّا أن تظن أننا نحن الذين فعلنا بها ذلك .

ورقة : أجل يا عبد المطلب علينا أن نكتم هذا السر من أجل سلامة الغلام .

عبد المطلب : جُزيت خيراً يا ابن نوفل !

ورقة : عما قريب ترى قريش ما ترى ، وتسمع قريش ما تسمع ؛ فطوبى يومئذ لمن آمن به ، وويل يومئذ لمن عاند وكفر .

عبد المطلب : ويحك يا ورقة أو يكون لابنى كل هذا الشأن ؟

ورقة : أجل كأنى به يخرجه قومه من هذا البلد فلا يزداد أمره إلّا علواً وانتشاراً .

عبد المطلب : بأبى هو وأمى أو مخرجوه هم يا ورقة ؟

ورقة : إى والله مثلما أنطق الساعة يا عبد المطلب ، فلئن عشت حتى يدركنى يومه لأنصرنه نصراً مؤزراً .

عبد المطلب : بوركت يا ورقة لقد والله زدتنى مسرة على مسرة بيد أنك جعلتنى أشفق عليه من قريش .

ورقة : إنه ابن اسماعيل ودعوة إبراهيم وإن رب إبراهيم وإسماعيل لكالئه وحافظه .

عبد المطلب : وقريش يا ورقة ؟

ورقة : دعك من قريش ! سيأتى على الناس يوم يا عبد المطلب تذهب فيه قريش ولا يبقى لها من ذكر إلا أنها كانت يوما ما عشيرة هذا الغلام .

« ســـتار »